وبضدها تتميز الأشياء!

عادت الأم بعد نهار طويل، الصغيرة ذات الأربع سنوات احتضنت أمها بشوق ولهفة، كانت جالسة في رعاية أختها الكبرى ذات السبع سنوات! حضور الأم يعني "الفرحة" الكاملة! يعني الطعام والأحضان والأمان ورائحة "الأم" التي لا تنسى! رحل الأب للقاء خالقه بعد رحلته المكافحة على هامش الحياة، عامل بسيط كادح منذ نعومة أظافره، ساعد أسرته وزوج أخوته البنات، ثم تزوج وأنجب، مرض بشدة ولم يعرف ماذا يفعل، أيطعم أطفاله أم يحصل على العلاج في بلاد لا تعترف بوجوده أصلًا! ولأنه يصلي منذ صغره كما علمه والده في بلدته الصغيرة في صعيد مصر، فقد نظر لأطفاله وزوجته نظرة مشفقة في ليلة من الليالي وسجد وبكى ودعا ربه أن يعود إلى جواره إن كان خيرًا له! لأنه لا يحتمل أن يؤلم من حوله، وما هي إلا أيام قليلة إلا وعادت الروح المنهكة إلى خالقها، فرحل بهدوء كما جاء بهدوء ...

الأم تفتح "الكيس البلاستيك" لتخرج مفاجأتها الكبرى وبضاعتها "الثمينة" لطفلتها الصغيرة، فستان يناسبها تمامًا، الطفلة

تكاد تطير من السعادة فقد مر وقت طويل ولم تحصل على أي ملابس، ترتدي الطفلة الفستان وتجري به في الحجرة الوحيدة التي تؤويهم في بدروم إحدى العمارات الواقعة في أحد أفقر المناطق في الوطن، الأم تبيع الخضروات في إحدى الأسواق القريبة، والفستان "المستعمل" هدية من إحدى السيدات التي تشتري منها وكثيرًا ما تتكلم معها عن بناتها وأحلامها لهم! لا تدرك الصغيرة الفرق بين الجديد والمستعمل، هي تدرك فقط أن أمها تحبها وتحضر لها كل ما تستطيع ... والأم تستكمل الرحلة رغم مضايقات أشباه "الرجال" ورغم صعوبة الحياة ورغم قسوة الوحدة في الليل الطويل، والسعادة والفرحة موجودة في حياتهم "البسيطة" وعناية الله تحيط بهم، تقول لي إنها تكاد ترى "زوجها" المكافح الصابر صاحب الوجه الطيب ينظر لها وهو يبتسم! وأنا أصدقها تمامًا ... فالطيبون للطيبات ولا شك!

ولا أنسى ما حييت، تلك الفتاة التي حدثتني أنها كان يتم تكريمها وهي صغيرة في المسجد في منطقتهم الفقيرة لتفوقها وحفظها للقرآن، فكان أكثر ما يحرجها في التكريم أنها لا بد

أن تخلع حذائها في المسجد، وكان جوربها "شرابها" مقطوع دائمًا وتضطر أن تستخدمه لفترات طويلة ولا تملك رفاهية تغييره!

نعم الله لا تُحصى وفضله واسع، والكل يخوض الاختبار الصعب! أتظنه أعطاك ومنع غيرك لأنه يحبك؟! لا والله، إنما هو الاختبار والابتلاء والسؤال الطويل المرعب ... اصنع الفرحة وابذل الخير وأنفق مما جعلك الله مستخلفًا فيه، فصنائع المعروف تقي مصارع السوء، ولعل دعوة مخلصة من قلب طيب موصول بخالقه تصنع "فرحتك" الغائبة وتفرج همك المؤلم وتكون سببًا في نجاتك في الدنيا والآخرة ... سلام على الطيبين المكافحين القابضين على "الجمر" في الزمن الصعب!

***